

الفلسفة وأنواعها عند الفارابي

شفيعة بلي



أستاذة محاضرة قسم «أ»

المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة- الجزائر

Résumé :

La sagesse chez El farabi deux types: La sagesse par condition, et la sagesse du tous .on lance la premier sur la maitrise trop et extrême dans n'importe quelle industrie, c'est-à-dire une sagesse restrictif par un domaine de la vie. Et on lance la deuxième sur «la philosophie» qui est la sagesse qui n'a pas des limites dans ses domaines, au contraire elle exige la perfection dans tous les domaines et elle utilise toutes les industries et toutes les vertus et toutes les sagesse. C'est pour ça que son propriétaire doit remplir certaines conditions qui font de lui un philosophe par vérité, et l'absence de ses conditions fera de lui un autre genre de philosophe, d'un autre genre de philosophie. Alors quelle sont les types de philosophie ?

El farabi dénomme la vrai et la bonne philosophie « la philosophie par vérité », elle est les vertus théorique et pratique avec discernement incertaine, avec la possibilité de les faire exister tous dans les nations. Une fois cette philosophie c'est installé par le premier président dans le publique, elle sera nommé la philosophie extérieur. Elle s'est installé par des méthode convaincante c'est à dire simuler toutes choses théoriques qui se trouvent en philosophie, et de le s'habituer aux vertus pratique. Tandis que la philosophie incomplète, son auteur est le faux philosophe qui ne connaît pas encore le but pour le quel il a sollicité la philosophie.

Un autre genre de philosophie, une philosophie clinquante , c' est une philosophie de quelqu'un qui a appris la science théorique mais il ne s'est pas habitué aux actes vertueux par ce qu' 'il était attaché à ses caprices et à ses désires. Tandis que la philosophie de falsification est une philosophie d'une personne qui a appris la science théorique sans être préparé Par nature vers elle.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة بالحقيقة-الفلسفة البرانية-الفلسفة الناقصة-الفلسفة البهرج- الفلسفة الزور

مقدمة

تعد بعض نصوص أبي نصر الفارابي (259 هـ / 872 م - 339 هـ / 950 م) من أهم المصادر الفلسفية العربية الأولى التي قدمت تعريفاً للفلسفة من حيث اشتقاقها اللغوي والاصطلاحي*، ومن حيث أصلها وظهورها وانتقالها إلى العالم الإسلامي. فلقد تطرق الفارابي فيها إلى أهم المشتغلين بالفلسفة منذ أن نشأت حتى وصلت إليه بالذات. فهي من أهم المصادر التي يعتمد عليها في تاريخ الفلسفة المشائية. كيف لا وقد كان الفارابي من أعلم الناس بالفلسفة القديمة وخاصة اليونانية منها، فلقد كان كما قال عنه القلقشندي: «فرداً في زمانه... يضرب به المثل في معرفة كلام القدماء ونقله وتفسيره»¹

وتظهر أصالة الفارابي في نظرته لنشأة الفلسفة، إذ يري أن هذه الأخيرة لم تظهر عند اليونان وإنما كانت في الحضارات الشرقية القديمة، أي عند الكلدانيين وهم أهل العراق والمصريين وهي نظرة معاصرة، تؤمن بوجود الفلسفة أينما وجدت الحضارة.

كما نجد عند الفارابي الحديث عن أنواع الفلسفة ما لا نجده عند غيره من الفلاسفة المسلمين،

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تعمقه وخبرته بهذا العلم، وكذا دقته في التمييز والتصنيف. لقد تناول بالدرس والشرح والتعليق جميع ما وصل إلى العالم الإسلامي من الفلسفة اليونانية. وقال عن أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) أنه لو أدركه لكان أكبر تلاميذه. وبالفعل تحقق له هذا الشرف، فلم يكن من أكبر تلاميذ المعلم الأول فقط، بل أضحي خليفته في عالم الفلسفة فاستحق لقب: «المعلم الثاني».

أولاً: تعريف الفلسفة لغة واصطلاحاً

1- معنى الفلسفة

قال الفارابي: «إنَّ إسم الفلسفة يوناني، وهو دخيل في العربية وهو على مذهب لسانهم «فيلاسوفيا» ومعناه إثارة الحكمة، وهو في لسانهم، مركب من «فيل» ومن «سوفيا»، ففيل الإثارة وسوفيا الحكمة. والفيلسوف مشتق من الفلسفة، وهو على مذهب لسانهم فيلوسوفوس، فإنَّ هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم، ومعناه: المؤثر للحكمة»².

فالفلسفة إذن محبة الحكمة أو هي الحكمة على الإطلاق أو الحكمة العظمى، وعلى الرغم من هذا فلا يمكن أن يقال للفيلسوف أنه حكيم على الإطلاق أو حكيم عظيم، وإنما يقال له المحب للحكمة على الإطلاق والمؤثر لها. يقول الفارابي:

«وكان الذين عندهم هذا العلم من اليونانيين يسمونه الحكمة على الإطلاق، والحكمة العظمى، ويسمون إقتناءها العلم وملكتها الفلسفة ويعنون به إثارة الحكمة العظمى ومحبتها، ويسمون المقتني لها فيلسوفاً ويعنون المحب والمؤثر للحكمة العظمى»³.

إذ أنَّ الحكيم هو من عنده علم الواجب بذاته بالكمال، وسوى الواجب بذاته في وجوده نقصان عن درجة الأول فإذاً يكون ناقص الإدراك، فلا حكيم إلاَّ الأول لأنه كامل المعرفة بذاته⁴. ويظهر أنَّ فيثاغورس هو الذي وضع هذه اللفظة، فقال: «أنا لست حكيماً ولكن محباً للحكمة».

ولذلك لم يلبث الفلاسفة أن وجدوا أنفسهم في موقف وسط، لا هو الغرور الأحق الذي يحمل الإنسان على الاعتقاد بأنَّ لديه القدرة على إدراك حقائق الأشياء على ما هي عليه، ولا هو موقف القانع بالحببة القلبية التي لا تدفع إلى عمل إيجابي، بل يكون محباً للحكمة، تواقاً لمعرفة، باحثاً عنها، فقيراً إليها، وتكون محبة للحكمة لا حدود لها ولا نهاية لمطالبها، ولا يعرف لها مرسى تتوقف على شواطئها، لأنها تطالع دائم للمعرفة وللإتصال أكثر بالموجودات المحيطة به، وهي موجودات لا يمكن

كل كبيرة وصغيرة فيها ويعرف أسرارها ويستطيع أن يتجول فيها كما يشاء، فهو مسيطر عليها ورئيس فيها ولا يعرفها غيره أكثر منه حتى الذي يمارسها لأنه برع وأبدع فيها بعد أن أحبها جداً وعاش بكل شخصه بها ولها فأصبح مختصاً فيها. وفكرة الاختصاص هذه أكد عليها الفارابي كثيراً وإن كانت فكرة معاصرة، حين يقول: «إن كل موجود إنما كون ليلغ أقصى الكمال الذي له أن يبلغه بحسب رتبته في الوجود الذي يخصه. فالذي للإنسان من هذا، هو المخصوص باسم السعادة القصوى وما للإنسان إنسان من ذلك بحسب رتبته في الإنسانية هو السعادة القصوى التي تخص ذلك الجنس»⁹. فغاية الفارابي هي سعادة البشرية التي لا تتم إلا بوجود مختصين في عدة صناعات أي حكماء بشرية. ولقد اشتهر بعض الرجال في الفلسفة اليونانية بهذه الصفة وسموا بالحكماء السبعة، وهم حكماء اختلف المؤرخون في أسمائهم وأجمعوا على أربعة منهم دون نزاع وهم: «طاليس» و«بياس» و«بتاقوس» و«سولون». وكانت تقوم حكمتهم على عبارات مأثورة قصيرة ينطقون بها. ولهذا فهم بعيدون جداً عن صفة «الفلاسفة» الذين هم محبو الحكمة التي ليست بشريطة والمراد بها الحكمة على الإطلاق وهي الفلسفة «فالحكمة على الإطلاق هي هذا العلم وملكوته»¹⁰ كما يقول الفارابي. فهي حكمة لا حدود لمجالاتها، ولأنها حكمة تطلب الكمال في كل المجالات وتستعمل كل الصناعات وكل الفضائل وكل الحكم، فالفيلسوف في زمان الفارابي هو حكيم عصره على الإطلاق. ولاشك أن الفارابي أحسن مثال لنا، إذ أنه كان حكيماً في كل المجالات: في المنطق، والرياضيات والميتافيزيقا والطب والموسيقى. هذا وبعد الحديث عن معنى مفهوم الفلسفة، فإنه يحق لنا أن نتساءل عن تعريف الفارابي لها.

2- تعريف الفلسفة

معرفتها ومعرفة أسبابها إلا بالتعاطف معها والغوص في أعماق أعماقها، أي المعيشة الذاتية لها بالاشتراك معها في وجودها بكل حيوية وشعور بالفيلسوف كما يقول أمرسن: «ينظر إلى الأشياء كلها نظرة صداقة، وتقديس، ويرى أن الحوادث كلها نافعة وأن الأيام كلها مقدسة وأن البشر جميعهم إلهيون»⁵. ولهذا فهو في بحث مستمر لا يتوقف وفي درب شاق ليس له نهاية. إنه الإنسان الذي «يجعل الوجود من حياته وغرضه من عمره الحكمة»⁶ كما يقول الفارابي.

هذا ونجد كلمة «سوفوس» أو حكيم شائعة جداً بين الناس منذ العصور القديمة، فهي تطلق على الشخص المتزن الذي يزن الأمور بميزان العقل ولا يندفع وراء شهواته، والمرجع الأول والملاذ في الأزمات وفيما يعترض حياة الناس من مشكلات متعددة النواحي⁷. وتطلق على من كمل وتفوق جداً في صناعة أو فن أو علم، وتجمعت لديه خبرات وتجارب تعكس على النفس لونا من الحزم والصبر على المكار، مثل الطبيب والنجار والموسيقي والنحات وغيرهم. وتسمى الحكمة التي يتصف بها هؤلاء بالحكمة «بالشريطة»

يقول الفارابي:

«والحكمة قد تقال على الخدق جداً وبإفراط في أي صناعة كانت حتى يرد من أفعال تلك الصناعة ما يعجز عنه أكثر من يتعاطاها. وتقال حكمة بشريطة فإن الخادق بإفراط في صناعة ما يقال أنه حكيم في تلك الصناعة، وكذلك النافذ الروية والحديث فيها قد يسمى حكيماً في ذلك الشيء الذي هو نافذ الروية فيه...»⁸.

وعني هذا أن الحكمة بشريطة هي الحكمة المقيدة بمجال من مجالات الحياة. فالإنسان يكون حاذقاً جداً عندما يعرف مهنته معرفة مفرطة، ويعرف

لأنّ وجودها بالفعل يجعلها كاملة والكمال لله وحده ويجعل الإنسان يملكها، وهذا يتناقض مع تعريف الفلسفة بأنّها حبّ الحكمة وليس إمتلاك الحكمة. وهي كما يراها الفارابي تكون للإنسان إذا حصلت له الفضائل الأربعة التالية: الفضائل النظرية، والفضائل الفكرية، والفضائل الخلقية، والفضائل العملية.

فالفضائل النظرية هي العلوم التي الغرض الأقصى منها أن تحصل الموجودات، التي تحتوي عليها معقولة متيقناً بها فقط. وهذه العلوم منها ما يحصل للإنسان منذ أول أمره من حيث لا يشعر ولا يدري كيف ومن أين حصلت، وهي العلوم الأول المتمثلة في مبدأ عدم التناقض، ومبدأ الثالث المرفوع ومبدأ العلية أو السببية، ومنها ما يحصل بتأمل وعن فحص وإستنباط وتعليم وتعلّم¹⁵.

والفضائل الفكرية هي القوة التي بها تستنبط وتميّز الأعراض التي شأنها أن تتبدل على المعقولات التي شأن جزئياتها أن توجد بالإرادة عندما يلتبس إيجادها بالفعل عن الإرادة في زمان محدود ومكان محدود عند وارد محدود طال الزمن أو قصر، عظم المكان أو صغر¹⁶. وأمّا الفضائل الخلقية فهي التي تصنع قواعد السلوك المؤدي إلى تحصيل السعادة وهي تشقها بالممارسة العملية والتجربة الحيوية، وبالتالي فهي مرتبطة من جهة بالفضائل الفكرية ومن جهة أخرى بالفضائل العملية، وهذه الأخيرة هي النوع الرابع من الفضائل، وهي التي يتمّ بها تعويد الجمهور الأفعال التي توصلهم إلى الكمال، ويكون بطريقتين: إحداها بالأقاول الإقناعية والأقاول الإنفعالية، والطريق الآخر هو طريق الإكراه¹⁷.

هذا ويجب أن نؤكد أنّ هذه الفضائل كما يراها الفارابي يرتبط بعضها ببعض ولا تفارق إحداها الأخرى وانطلاقاً منها نجد الفارابي يجعل من الفلسفة صنفين: صنفاً به تحصل معرفة الموجودات التي ليس

عرّف الفارابي الفلسفة في كتابه «الجمع بين رأيي الحكيمين» فيقول: «أتم العلم بالموجودات بما هي موجودة»¹¹.

فقوله: «أتم علم» يعني أتم معرفة يقينية تقف على علّة الشيء.

وقوله أتم «علم بالموجودات» يعني أتم علم بعمومها لا بتفاصيلها لأنّ العلم بالتفاصيل يرجع إلى العلوم الجزئية، وهي إنّما تفحص عن الجسم بالإجمال وعن الحياة بالإجمال فتشمل في حكمها كل جسم وكل حي.

وقوله «أتم علم بالموجودات بما هي موجودة» يعني أتم العلم بالعلل البعيدة التي ليس بعدها مطلب لمستزيد، والحال أنّ سائر العلوم تقصر عنايتها على العلة القريبة¹². ونظراً إلى هذا فالفلسفة هي العلم الوحيد الذي يضع أمامنا صورة شاملة للكون، ولا يمكن للفلسفة أن تعطي لنا هذه النظرة إلاّ إذا كانت على اتصال بالعلوم كلها، ولذلك نجد الفارابي يقول: «إنّ موضوعات العلوم وموادها لا تخلو من أن تكون: إمّا إلهية وإمّا طبيعية، وإمّا رياضية، أو سياسية. وصناعة الفلسفة هي المستنبطة لهذه والمخرجة لها، حتى أنّه لا يوجد شيء من موجودات العالم إلاّ وللphilosophy فيه مدخل وعليه غرض، ومنه علم بمقدار الطاقة الإنسانية»¹³.

فالفلسفة هي الأم الرؤوم التي تضمّ إلى صدرها أنواع المعرفة جميعاً، وهي شجرة عظيمة طيّبة، فروعها وأغصانها العلوم ومولدات الفكر البشري، ولهذا رأى الفارابي فيها أتم «بالقوة، الفضائل كلها، ويسمونها - كما يقول - علم العلوم وأم العلوم وحكمة الحكم وصناعة الصناعات ويعنون بها الصناعة التي تستعمل الصناعات كلها والفضيلة التي تستعمل الفضائل كلها، والحكمة التي تستعمل الحكم كلها»¹⁴.

فالحكمة هي الفضائل كلها بالقوة، وليست بالفعل،

الغيبات وفي الله الذي هو أشرف مواضيعها وهكذا تكون الفلسفة كما يقول الفارابي « أفضل علم لأفضل الموجودات »¹⁹ ولقد سبق الكندي وقبله أرسطو، الفارابي في اعتبار الفلسفة الأولى هي التي تبحث في العلة الأولى وهي أشرف موضوع للفلسفة.

هذا ويرى بعض الفلاسفة الآخرين أنّ الفلسفة مازالت تمارس فعاليتها القديمة على الرغم من تطور العلوم وانفصالها عنها. فلا تقوم لها قائمة خارج العلوم وبمعزل عنها، وعلى الرغم من إدراك الفلسفة لخصائصها المستقلة المتميزة، فإنّها لا تنفصل عن العلم، وهي ترفض أن تأثم في حق النظر المسلم به كلياً. وكلّ من يشتغل بالفلسفة (أو يتفلسف) لابدّ أن يكون عن معرفة بالمنهج العلمي²⁰. كما أن الفلسفة المحض لابدّ أن تمارس في الظروف الجديدة التي خلقتها العلوم الحديثة. وهذا أمر لا غنى عنه لصالح العلوم نفسها، لأنّ الفلسفة حيّة دائماً في العلوم ولا يمكن أن تنفصل عنها²¹.

إذن يمكن أن نقول: أنه على الرغم من تطوّر العلوم الذي يوحى بالانفصال التام عن الفلسفة فإنّ حاجة كلّ واحد منهما إلى الآخر باتت في هذا العصر أكثر منها في أيّ وقت مضى لأنّ « الفلسفة بغير العلم تندهور وتنحط إذ تنعزل عن تيّار النمو الإنساني وتقع أكثر فأكثر في سخافات المدرسية الكثيرة. والعلم بغير الفلسفة لا يصبح عاجزاً فقط بل مخرباً ومدمراً »²². فالشخص الذي يريد أن يتفلسف اليوم على وجه نافع ينبغي أن يكون فيزيائياً ورياضياً وبيولوجياً ومؤرخاً وعالم لغة. وما فلاسفة هذا العصر سوى علماء الفيزياء والكيمياء وعلماء الطبيعة إلى غير ذلك، لأنّ التفلسف الذي بموجبه يصل الفيلسوف إلى نظرة شاملة للكون يستدعي المعرفة بأكثر من علم لتحقيق تلك النظرة. وإضافةً إلى هذا ينبغي الإشارة إلى أنّ العلوم لم تدرج مواضيع الكون كلّ ضمن مواضيع بحثها ولا يمكن

للإنسان فعلها وهذه تسمى الفلسفة النظرية، وصنفاً به تحصل معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل، كما تحصل القوة إلى فعل الجميل منها وهذه تسمى الفلسفة العملية والفلسفة المدنية.

والفلسفة النظرية تشتمل على ثلاثة أصناف من العلوم أحدهما علم التعاليم والثاني العلم الطبيعي والثالث علم ما بعد الطبيعيات وكل واحد من هذه العلوم الثلاثة يشتمل على صنف من الموجودات التي شأنها أن تعلم فقط.

والفلسفة المدنية صنفان أحدهما تحصل به الأفعال والأخلاق التي تصدر عنها الأفعال الجميلة والقدرة على أسبابها وبه تصير الأشياء الجميلة قنية لنا وهذه تسمى الصناعة الخلقية والثاني يشتمل على تحصيلها لهم وحفظها عليهم وهذه تسمى الفلسفة السياسية فهذه جل أجزاء صناعة الفلسفة¹⁸.

فالفلسفة إذن هي العلوم كلها بل هي أم العلوم، وبقيت كذلك حتى العصر الحديث حيث شبّتها ديكارت (1596-1650) بشجرة أصلها الميتافيزيقا وجذعها الطبيعة وفروعها العلوم الأخرى، ولقد تطورت العلوم من بعد هذا تطوراً مذهلاً وسريعاً، فانفصلت عن الفلسفة بمنهجها كما انفصل الأبناء عن الأم بحياتهم الخاصة. وساعدت هذه العلوم على حلّ مشاكل الإنسان اليومية خاصةً المادية منها ولم تعد لهذا الإنسان حاجة إلى الفلسفة بمعناها القديم بل نبذها أكثرهم ووصفها بكونها بحثاً عقيماً، لا جدوى منه، فهل هذا صحيح؟ وما الذي بقي للفلسفة أن تبحث فيه بعد أن انتزعت العلوم منها اختصاصها القديم؟ وهل للفلسفة ميدان لا يزال قائماً؟.

ويرى بعض مؤرخي الفلسفة مثل جون لاشولبي Lachelier (1832-1918)، وشارل فرنر Werner (1878-1969) أنّ موضوع الفلسفة اليوم هو الميتافيزيقا التي تبحث في

أن تدرجها أبداً لأنها تأبى الإنصياح إلى الفهم العقلي الوضعي والاستجابة إلى صياغة المعادلات الرياضية مثل الأخلاق والدين والفن والحياة اليومية والتجارب الإنسانية وغيرها، بل لا يمكن لهذه المسائل أن يتفق الناس حولها ولا أن يحصلوا على جواب نهائي فيما يتعلق بها. يقول برتراند راسل (1872-1970): «إن المسائل الممكنة تحصيل أجوبة نهائية عنها توضع في العلوم، بينما تلك التي لم تحصل على جواب نهائي عنها حتى الآن تبقى لتكون البقية التي تسمى فلسفة... مثل هل في الكون وحدة في التصميم أو غاية؟ أو هل هو مجرد تلاقٍ عارض لمجموعة من الذرات؟ وهل الخير والشرّ لهما أهمية بالنسبة للكون أو أنّ أهميتها هي فقط بالنسبة إلى الإنسان؟ إنّ كل هذه المسائل توسع من أفق تصوّرنا لما هو ممكن، وتغني خيالنا العقلي وتقلّل من التوكيد الدوجماتي الذي يحجب العقل عن التأمل²³».

ومن هنا نرى أنّ الفلسفة ما تزال قائمة وأنّ مواضيعها تتجاوز كلّ المواضيع التي حدّدها لها بعض الفلاسفة وهي لا تملك مجالاً واحداً تقتصر عليه لأنّ مجالها الخاص هو كلّ المجالات، فالفلسفة كما يقول جون فال (1888-1974): «لا موضوع لها تتغذى منه بصفة خاصة، إنّ موضوعها العلوم كلّها والتجارب الإنسانية بأكملها»²⁴، فالعالم كلّ موضوعها والكون كلّ ميدان اختصاصها، ولذلك فإنّ أيّ علم أو أيّ فنّ لا يمكنه أن يقوم مقامها لأنها النور الذي يرى به الإنسان الفنون والعلوم ويعرف السعادة، ولأنّها فوق كلّ ما ذكرناه ملكة وقدرة دائمة على الإبداع في أيّ مجال كان. يقول الفارابي: «ويسمّون إقتناءها (أي الحكمة على الإطلاق) العلم وملكها الفلسفة»²⁵، وبالتالي فالفلسفة ليست هي العلم ولكنها هي الملكة التي يكتسبها الفيلسوف وتجعله قادراً على أن يصل إلى الحق في كلّ المجالات وهي بهذه الصفة قريبة جداً من

الفلسفة بمعناها الحديث. ويظهر لنا أنّ تعاريف الفارابي للفلسفة ثريّة جداً. ولهذا يمكننا أن نراه من خلالها وكأنّه من عصر أرسطو أو ديكارت أو العصر الحديث، وإنّ دّل هذا على شيء فإنّه يدلّ على بعد النظر والحدس الفلسفي اللّذين إمتازا بهما الفارابي، وهاتان الميزتان من سمات الفلاسفة بالحقيقة الذين يعيشون بأفكارهم مع كلّ الناس ومع كلّ الوجود في أيّ عصر.

وإذا كانت الفلسفة هذه هي صفتها أي أنّها ملكة، فهي غير خاصة بجميع الناس بالطبع ولكن ببعض منهم، تتوفر فيهم شروط خاصة ذكرها الفارابي. يقول الفارابي: «ينبغي لمن يتكلم بعلم الحكمة أن يكون شاباً فارغ القلب، غير ملتفت إلى الدنيا صحيح المزاج، محباً للعلم بحيث لا يختار على العلم شيئاً من أسباب الدنيا ويكون صدوقاً لا يتكلم بغير الصدق وأن يكون محباً للإنصاف بالطبع لا بالتكلف، ويكون أميناً متديناً عاملاً بالأعمال البدنية والوظائف الشرعية، غير مُخل بواجب منها. فمن أخلّ بواجب من الواجبات التي أمر نبيّ من أنبياء الله تعالى به ثمّ ورد على الحكمة فهو أهل أن يهجر ويترك»²⁶، وهذا لأنّ الإشتغال بالحكمة هو إشتغال بصناعة فاضلة لا يمكن أن يكون صاحبها إلّا فاضلاً متخلّقاً، يستمدّ نور الفضيلة من أعماق نفسه الطاهرة. ويكون له ذلك إذا هدّجها طويلاً وتعلّم كثيراً واستعدّ للتعليم جاهداً صادق النية لبلوغ هدف سام وهو تحقيق السعادة القصوى في الدنيا والآخرة، ولهذا من كان فيلسوفاً بغير هذه الكيفية فإنّه ليس فيلسوفاً بالحقيقة ولكن فيلسوفاً من نوع آخر.

ثانياً: أنواع الفلسفة:

إنّ وجود شروط وصفات للحكيم والحكمة هي التي تفرّق بين نوع من الفلسفة ونوع آخر. ولعلّ ما كان سائداً في وقت الفارابي من غرور بعضهم بادّعاءاتهم العلم والحكمة هو الذي أدّى بالفارابي إلى تبيين الفيلسوف الحق من بين غيره. أو إلى تبيين

بالطبع وليس بالتكلف لتعلم العلوم وإيجاد ما تعلمه من العلوم النظرية والعملية في الجمهور على وجه كامل، وكلما كانت قوته كبيرة على إيجادها كانت فلسفته أكمل وكان فيلسوفاً على الإطلاق، وهكذا يكون الفيلسوف بالحقيقة هو الفيلسوف على الإطلاق «الذي حصلت له الفضائل النظرية أولاً، ثم العملية ببصيرة يقينية، ثم أن تكون له قدرة على إيجادها جميعاً في الأمم والمدن بالوجه والمقدار الممكنين في كل واحد منهم»²⁹.

وإضافةً إلى هذا يحاول الفيلسوف أن يبدع ويتكر كما يبدع الفنان، فهو يتكر السبل التي بها يتصل بالجمهور ويعلمه لأنّ الناس متفاوتون في الاستعدادات ويختلفون في الفطرة وهو ما يؤدي إلى تقسيمهم في أغلب الأحيان إلى الخاصة والعامة.

ومن الواجب على الفيلسوف أن يعلم الخاصة باستعمال البراهين اليقينية، ويعلم العامة باستعمال الطرق الإقناعية والطرق التخيلية. ويكون ذلك طوعاً أو كرهاً، فالتعليم إجباري لأنّ الناس محتاجون إلى مرشد ومعلم يريهم ما ينبغي اعتقاده وما ينبغي فعله، ولا يتمكن الفيلسوف من تحقيق ذلك إلا إذا كانت له سلطة غير محدودة تسمح له بتطبيق هذه الشرائع التعليمية، وبالفعل فإنّ الفيلسوف على الإطلاق هو الرئيس الأول. وهو كذلك «بماهيته وبصناعته سواء وجد من يقبل منه أو لم يجد، أطيع أو لم يطع، وجد قوماً ما يعاونونه على غرضه أو لم يجد كما أنّ الطبيب طبيب بمهنته وبقدرته على علاج المرضى، وجد مرضى أو لم يجد، وجد آلات يستعملها في فعله أو لم يجد، كان ذا يسار أو فقر، إذ ليس يزيل طبّه إلا يكون له شيء من هذه. كذلك لا يزيل إمامة الإمام ولا فلسفة الفيلسوف ولا ملك الملك، إلا تكون له آلات يستعملها في أفعاله، ولا ناس يستخدمهم في بلوغ غرضه»³⁰.

أنواع الفلسفة وماهية كلّ منها وهي: الفلسفة بالحقيقة والفلسفة البرّانية والفلسفة الناقصة أو الباطلة والفلسفة البهرج والفلسفة الزور.

1- الفلسفة بالحقيقة

هي الفضائل النظرية والعملية ببصيرة يقينية مع القدرة على إيجادها جميعاً في الأمم والمدن بالوجه والمقدار الممكنين في كلّ واحدة منها²⁷.

وأما الفيلسوف بالحقيقة هو صاحبها ويجب أن تتوفر فيه شروط وصفات هي:

- أن يكون حسن الأخلاق: أي أن يكون رحيماً بالناس، يحترم غيره، قنوع، شجاع، زاهد، متواضع، حسن المعاملة، حلو اللسان، صادق، ناصح، أمين، محسن، متعاون، جميل الأفعال. فالأخلاق إذن هي المبدأ والمحرك والغاية للفلسفة وخاصة العملية منها.

- أن يوافق الجمهور في الرسوم، والعادات التي يستعملها أهل زمانه.

- أن يحزم ويحلل على نفسه ما حزم وحلل في ملّة نبيّه.

- أن يكون محباً للعلم، يطلبه حثيثاً، فلا يستنكف من التعلم، فإن أكبر الفلاسفة أمثال سقراط، وأفلاطون، وأرسطو كانوا كثيراً ما يستفيدون من تلاميذهم²⁸.

هذا ويكون الفيلسوف مع كل هذا عالماً وعارفاً بالعلوم الفلسفية، على كمالها، إن لم نقل بعلوم عصره كلّها، ويعرف الفضائل كلّها النظرية والفكرية والخلقية والعملية من كل الوجوه، ويعتبر التعقل فضيلة، فيتهدي بهدى الفكر ويتعقل الحياة. إنّه رجل تبلورت فيه أفكار ومشاعر أمتّه، وانعكست فيه، ولهذا فهو ممثلها وينبغي له أن لا يقبع في الكهف أو يبقى في برج عاجي، لأنّه يجب عليه أن يؤدي رسالته الاجتماعية التي حوّلتها له طبيعته، ومن هنا فينبغي له أن يكون مستعداً

ذلك الغرض، وهذا ربما نال به الغرض فأقام عليه وربما عسر عليه نيل الغرض، فرأى فيما علمه منها أنه فضل»³³ وأن فيه الكفاية. ويمكننا أن نقول أن الفيلسوف الباطل هو الذي لم تتوفر فيه شروط الفيلسوف بالحقيقة، وهي كما وضعها الفارابي منها ماهو فطري، ومنها ما تربي عليه في مجتمعه مثل السعادات والأفعال الجميلة. ويبدو أن أفلاطون ذكر ما يشبه هذه الشروط في كتابه السياسة حسب الفارابي. وهي شرائط تخلق في الفيلسوف استعداداً فطرياً لتعلم العلوم الفلسفية على كمالها، ونظراً إلى هذا فإذا تقدم الفيلسوف لتعلم هذه العلوم ولم يكن موطاً نحوها وذلك لخلوه من تلك الشروط أو أغلبها فإن فلسفته تكون فلسفة باطلة وناقصة. وتكون هذه الصفة أيضاً إذا كان هذا الفيلسوف قد تعلم العلوم النظرية والعملية ولم تكن له قدرة على إيجادها في غيره، لأن حصر العلوم في نفسه دون نقلها إلى الناس بواسطة التعليم لا يحقق الغرض المرجو من الفيلسوف، وهو تحقيق الفضيلة الحقيقية التي تتمثل في السعادة والتي ينبغي أن يصل إليها ليس بمفرده، وإنما مع أفراد أمته، ولا يتم بلوغ هذه الغاية إلا بالعلم والعمل، فخير الفلاسفة أو الرؤساء هم الذين يعملون ويتعلمون ويعلمون غيرهم، ولهذا فإذا اكتفى الفيلسوف بتعليم نفسه فقط، وتحقق لها بهذا التعليم بعض الخيرات مثل كسب المال والجاه والملاذات التي يظن أنها سعادات، فهو فيلسوف غافل وغير شاعر تماماً بالغرض السامي الذي لأجله تلتبس الفلسفة، وهذا هو حظ كل الفلاسفة الناقصين.

4- الفلسفة البهرج

إنها فلسفة من يتعلم العلوم النظرية ولم يرد ولم يعود الأفعال الفاضلة التي بحسب ملّة ما والأفعال الجميلة التي في المشهور بل كان تابعا لهواه وشهواته في كل شيء من الأشياء إتفق³⁴. إن هذا الفيلسوف مثل الفيلسوف الباطل الذي لا يدرك غاية الفلسفة بل

ويظهر أن أحسن مثال للفيلسوف بالحقيقة هما أفلاطون (427 ق.م - 347 ق.م) وأرسطو اللذان أعطيا الفلسفة والطرق إليها والطرق إلى إنشائها [وإحيائها] متى اختلت أو بادت³¹.

2- الفلسفة البرّانية

هي التي يوجدها الرئيس الأول في العامة بطرق إقناعية وتسمى أيضاً الفلسفة الذائعة المشهورة. وهي ذائعة مشهورة لأنها تنتشر في صفوف الناس وتشتهر وتعرف، وهي برّانية لأنها جديدة عن العامة، لم يتوصلوا إليها بأنفسهم وإنما قام الرئيس الأول بتعليمهم إيّاها بتخييل ومحاكاة الأشياء النظرية الموجودة في الفلسفة، وتخييل الموجودات بمثالاتها التي تحاكيها، وتعويدهم على الفضائل العملية حتى ترسخ في نفوسهم. ويسمى الفارابي هذه الفلسفة البرّانية باسم آخر هو الملّة، يقول الفارابي: «ومتى علمت (أي الموجودات) بأن تخيلت بمثالاتها التي تحاكيها، وحصل التصديق بما خيل منها عن الطرق الإقناعية، كان المشتغل على تلك المعلومات تسمية القدماء الملّة»³².

فالفلسفة البرّانية والفلسفة الذائعة المشهورة والملّة شيء واحد. وهي الفلسفة بالحقيقة ولكن في صياغة تناسب مستوى العامة. ونظراً إلى هذا فهي ليست نوعاً من أنواع الفلسفة التي ستحدث عنها بعد هذا وهي الفلسفة الناقصة أو الباطلة والفلسفة البهرج والفلسفة الزور.

3- الفلسفة الناقصة أو الباطلة

صاحبها هو الفيلسوف الباطل وهو «الذي لم يشعر بعد بالغرض الذي له إلتمست الفلسفة فحصل على النظرية أو على جزء من أجزاء النظرية فقط. فرأى أن الغرض من مقدار ما حصل له منها بعض السعادات المظنونة أنها سعادة، التي هي عند الجمهور خيرات، فأقام عليها طلباً لذلك وطمعاً في أن ينال به

فالإنسان لا يمكنه أن يكون فيلسوفاً إلا إذا كان أهلاً لذلك، ومن تجاوز هذا المبدأ خدع نفسه وخدع الناس فصار مزوراً، وباعتباره إنسان سرعان ما يظهر عليه طلاء التزوير والتزييف بنسيانه العلوم النظرية التي تعلّمها، فينكشف أمره. وهو في هذا مثل الفيلسوف البهرج، يقول الفارابي: «إنّ المزور والبهرج، وإن أكمل العلوم النظرية، فإنّهما في آخر الأمر يضمحلّ ما معهما قليلاً قليلاً، حتى إذا بلغا السن الذي سبيل الفضائل أن يكمل الإنسان فيها، انطفت علومهما على التمام، أشدّ من انطفاء نار هرقليطس الذي يذكره أفلاطون. وذلك أنّ طباع الأوّل وعادة الثاني تقهران ما يذكرانه فيه في شبابهما وتنقلان عليهما حفظ ما قد احتملا الكدّ فيه فيهملاونه فيبتدئ ما معهما يضمحلّ قليلاً قليلاً إلى أن تبطل وتنطفئ فلا يجنيان له ثمره»³⁷.

الخاتمة

هذه هي أنواع الفلسفة كما يراها الفارابي والذي نستنتجه من تأملنا لها أنّ الفلسفة بالحقيقة لا يمكن أن تكون لأيّ كان إلا إذا توفرت فيه شروط حصولها له لأنّ دربها شاقّ وطويل، ولأنّ غايتها السعادة القصوى التي لا سبيل لها إلا المعرفة الصحيحة والعمل بها، ونظراً إلى هذا فإنّه يمكننا أن نقول مع الفارابي:

« إنّ شاق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كل طائر وسرداق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كل سائر...»³⁸.

هو لا يدرك حتى العلاقة بين العلوم النظرية والعملية، ولقد ذكرنا أنّ بين الفضائل الفلسفية الأربعة وهي النظرية والفكرية والخلقية والعملية ارتباط وثيق جداً. فإذا كان هذا الفيلسوف لا يطبق ما ينبغي عمله بعد علمه، فهو بعيد عن الفيلسوف الذي تنتظره الأمة، إذ أنّه يتبع هواه وشهوته في كل شيء ولا يضبط نفسه ولا يروّضها ولا يعوّدها الأعمال الفاضلة والجميلة. فالأخلاق لها أهمية أكبر من أهمية العلم وذلك لأنّ العلم لا يساوي شيئاً إذا كان صاحبه غير متخلّق، وأحسن مثال يذكره الفارابي في كتابه «الفصول المنتزعة»، هو مثال شخصين أحدهما علم ما في كتب أرسطو طاليس كلّها من الطبيعية والمنطقية والإلهية والمدنية والتعاليم وكانت أفعاله كلّها أو جلّها مخالفة لما هو جميل في بادئ الرأي المشترك عند الجميع، والآخر غير عالم بعلوم الأوّل ولكن أفعاله كلّها موافقة لما هو جميل في بادئ الرأي المشترك، فإنّ هذا الثاني أقرب إلى أن يكون فيلسوفاً من الأوّل وكان أقدر على أن يحوز ما قد حازه الأوّل، من الأوّل على أن يحوز ما قد حازه الثاني، لأنّ هذا الأخير لا يمنعه شيء من تعلّم العلوم النظرية بينما الأوّل تصدّه عاداته المتمكنة فيه من فعل الأفعال الفاضلة والجميلة. إذ أن الفلسفة في بادئ الرأي وفي الحقيقة هي أن يحصل للإنسان العلوم النظرية وأن تكون أفعاله كلّها موافقة لما هو جميل في بادئ الرأي المشترك وفي الحقيقة³⁵. ولاشك أنّ هذا الفيلسوف لا يلبث أن ينسى شيئاً ما تعلّمه مع مرّ السنين.

ويمكننا أن نقول أنّه لا يلبث أن يفقد شيئاً فشيئاً البهرج الذي يزدان به كما تفقد المرأة المساحيق التي تتبهرج بها فيبدو وجهها على حقيقته.

5- الفلسفة الزور:

إنّ الفلسفة الزور هي فلسفة من تعلّم العلوم النظرية من غير أن يكون معدّاً بالطبع نحوها³⁶ ومن غير أن يكون له الاستعداد الفطري الضروري لذلك.

هوامش الدراسة

10- المصدر نفسه ، ص 81.

11- الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين، تقلم وتعليق،
آلبر نصري نادر، المشرق بيروت، الطبعة 3، 1968،
ص 80.

12- أنظر دنيا سليمان، التفكير الفلسفي الإسلامي،
الناشر مكتبة الخانجي بمصر، توزيع مكتبة الرشاد بالدار
البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1967، ص 25.

13- الفارابي، كتاب الجمع، ص 80.

14- الفارابي، تحصيل السعادة، ص 88-89.

15- أنظر المصدر نفسه، ص 49.

16- المصدر نفسه ، ص 68.

17- راجع الفارابي، تحصيل السعادة، ص 49-68.

18- الفارابي، كتاب التنبيه على سبيل السعادة ضمن
رسائل الفارابي، ص 19-20.

19- الفارابي، فصول منتزعة، تحقيق وتعليق: فوزي مري
النجار، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1971، ص 62.

20- كما يرى كارل ياسبرس نقلاً عن عبد الرحمن
بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، ط 2،
1979، ص 22.

21- المرجع نفسه، ص 21.

22- ول ديورنت، مباهج الفلسفة، تر: أحمد فؤاد
الأهواني، مقدمة إبراهيم بيومي مذكور مكتبة الأنجلو المصرية،
القاهرة، 1995، الكتاب 1، ص 21.

23- برتراند راسل، مشاكل الفلسفة، ترجمة محمد

* إلى جانب ابن إسحاق الكندي، الذي حدّثها في رسالته:
«في حدود الأشياء ورسومها»

1- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، الموسوعة
العامة للتأليف والترجمة والطباعة

والنشر، ج 1، ص 454

2- ذكره ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات
الأطباء، دار الثقافة بيروت، لبنان 1979، ج 3،
ص 224.

3- الفارابي، تحصيل السعادة، تحقيق وتقلم جعفر
آل ياسين، دار الأندلس بيروت، ط 2، 1983،
ص 88.

4- الفارابي، التعليقات، ضمن رسائل الفارابي،
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد،
الدين، الهند 1349هـ، ص 9.

5- ذكره كارل ياسبرس، عظمة الفلسفة، ترجمة
عادل عوا، منشورات عويدات، بيروت، ط 1،
1975، ص 72.

6- الفارابي، نقلاً عن ابن أبي أصيبعة، عيون
الأطباء، ج 3، ص 224.

7- محمد علي أبو ريان، الفلسفة ومباحثها، (مع
ترجمة كتاب المدخل إلى المتافيزيقا لبرغسون)، الناشر دار
الجامعة المصرية، الطبعة الثالثة، 1974، ص 54-55.

8- الفارابي، تحصيل السعادة، ص 89.

9- المصدر نفسه، ص 81.

عماد الدين اسماعيل عطية محمود هنا، مطبعة الشرق، ط1، 1947، ص132-136 بتصرف.

24-Wahl (Jean), L'expérience Méta-physique. Payot, Paris. p222.

25-الفارابي، تحصيل السعادة، ص88.

26-الفارابي، رسالة زينون، ضمن رسائل الفارابي، ص9.

27-الفارابي، تحصيل السعادة، ص89.

28- أنظر: الفارابي، شرح رسالة زينون الكبير، ضمن رسائل الفارابي، ص9-10.

29-الفارابي، تحصيل السعادة، ص89.

30-المصدر نفسه ، ص97.

31-المصدر نفسه ، ص97.

32-الفارابي، تحصيل السعادة، ص90.

33-المصدر نفسه ، ص96.

34-الفارابي، تحصيل السعادة، ص95-96.

35-الفارابي، فصول منتزعة، ص100-101.

36-الفارابي، تحصيل السعادة، ص95-96.

37-المصدر نفسه ، ص96.

38-الفارابي، شرح رسالة زينون الكبير: ضمن رسائل الفارابي، ص8.